**المحاضرة الثالثة :**

**الإحـــــــــــــــــالـــــــــــــــــــــــــــــــــة**

**من المرجعية النحوية إلى المرجعية اللسانية**

لقد شدّ مصطلح "الإحالة" الدارسين القدامى على اختلاف مدارسهم اللسانية،إذ صنفوها في مجموعة من الضمائر المتصلة والمنفصلة والمستترة والظاهرة وإشارية وموصولة. كما لم يغفل المحدثون عن اهتمامهم بمصطلح "الإحالة"،فقاربوها عبر مظاهرها مالختلفة ومستوياتها المتعددة،تركيبية ودلالية وتداولية.من مثل الإحالة النصية والمقامية والقبلية والبعدية..إلخ.

وإذا كانت الإحالة في مفهومها التقليدي الدلالي لا تخرج عن«العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات... فالأسماء تحيل إلى المسميات[[1]](#footnote-2)»فإنّ ذلك مردّه أنّ المنوال الوصفي للسانيات الجملة لا يقوى على رصد الإحالة الضميرية وضبطها،وهو ما جعل لسانيات الجملة لا تكترث بالإحالة، كونها ليست من صميم طروحاتها. ولذا لم تحظ الإحالة باهتمام واسع إلاّ في رحاب الوصف النصي أو مجال تحليل الخطاب.

**الإحالة" في أدبيات المعاجم اللغوية والمختصة والدراسات اللسانية**

جاء في معجم لسان العرب «المحال من كلام: ما عدل به عن وجهه، وحوّله جعله محالا، وأحال؛ أتى بمحال، ورجل محوال: كثير الكلام، وكلام مستحيل محال، ويقال: أحلت الكلام أحيله إحالة إذا أفسدته. وروى ابن شميل عن الخليل بن أحمد أنه قال: المحال من الكلام لغير الشيء، والمستقيم كلام الشيء..وأحال الرجل: أتى بالمحال وتكلّم به...وتحوّل عن الشيء: زال عنه إلى غيره...والتحوّل: تنقل من موضع إلى آخر..[[2]](#footnote-3)».

**مفهوم الإحالة في الممارسات اللسانية**

لا نقصد بالإحالة هنا ذلك المفهوم الفلسفي الذي يعكس علاقة الأشياء القائمة بين الأسماء والمسميات،وسنركز البحث حول المفهوم اللساني النصي. «يثير مفهوم الإحالة –ونعني مقابلها في اللغة الفرنسية référence مثلا، مشكلا اصطلاحيا، إذ هي نعني تارة العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على الشيء الموجود في العالم أي ما كان يسميه القدامى "الخارج" وهي تعني تارة أخرى إحالة لفظة على لفظة متقدّمة عليها[[3]](#footnote-4)».

وبذلك يغدو للإحالة مفهومان رئيسيان،يتمثل الأول في العلاقات التقليدية بين المشار والمشار إليه أو المحال والمحال إليه.ويتمثل المفهوم الثاني في تلك الوسائل اللغوية وغير اللغوية التي تسهم في خلق بنية النص، وذلك من خلال إحالة العناصر اللغوية وغير اللغوية إلى بعضها البعض من عبارات وأحداث ومواقف داخل عالم النص.

نخلص إلى أنّ الإحالة في المتصور اللساني النصي[[4]](#footnote-5) هي وسيلة من وسائل الاتساق وربط أجزاء النص وتماسكها، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص وتجسيدها وخلق علاقات معنوية من خلال تلك العناصر الإحالية، ويتم ذلك عن طريق عنصرين:

1. طريق مباشر، وهو القصد الدلالي إلى ما يشير إليه اللفظ مباشرة، فالعنصر المحيل-أيا كان نوعه- والمحال إليه، لا بدّ أن يكونا بارزين دون حاجة إلى تأويل. ويتجلى ذلك في الإحالات داخل النص قبلية أو بعدية.
2. التأويل، وذلك في حالة عدم وجود المحال إليه بشكل مباشر داخل النص.

وعلى ضوء هذه المفاهيم يمكن تحديد أن «الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة) وتقوم المكوّنات الاسمية بوظيفة عناصر العلاقة أو المفسِّر أو العائد إليه[[5]](#footnote-6)» ويمكن توضيح هذا التحديد في المخطط الآتي:

ومنه فالإحالة تربط بين عنصرين أساسين، الأول (إشاري) والثاني(إحالي)، إذ يقوم العنصر الإشاري بتفسير وتأويل العنصر الإحالي الذي يعود عليه، وعادة ما يطلق على هذه الوظيفة بالإحالة الضميرية أو بالإشارية أو بالتكرارية التي تسهم في ربط أول النص بآخره، وبالتالي تحقيق الاتساق النصي. وبهذا الشكل تتخذ الإحالة وظيفة الربط في شقية النحوي والدلالي.

**هاليداي وتقسيمات الإحالة**

يقيد "هاليداي" الإحالة بقيد دلالي يصبح معه عنصر الاتساق متولدا من خلال تطابق الخصائص الدلالية بين العناصر الإحالية والعناصر الإشارية. وعليه «تعتبر الإحالة علاقة دلالية، (...) تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر الحال إليه[[6]](#footnote-7)».

وبناءً على هذا التحديد يقسم "هاليداي"[[7]](#footnote-8) الإحالة إلى نوعين رئيسين : إحالة مقامية وإحالة نصية، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى فرعين: إحالة بعدية وإحالة قبيلة.

ومنه فإن العناصر الإحالية أو المحيلة كيفما كان نوعها –من منظور هاليداي- لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها.

**أنواع الإحــالة:**

يتفق علماء النص وعلى رأسهم "هاليداي" أن هناك نوعين من الإحالة (إحالة مقامية وإحالة نصية) و«كقاعدة عامة يمكن أن تكون عناصر الإحالة مقامية أو نصية، وإذا كانت نصية فإنها يمكن أن تحيل إلى السابق وإلى اللاّحق[[8]](#footnote-9)» ويميز "هاليداي"بين الإحالتين –المقامية والنصية-من خلال الوظيفة والإجراء:

**-1- الإحالة المقامية(إ.خارجية)**: تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلاّ أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر[[9]](#footnote-10). حيث إن النص يفسّر بعناصر ومعان خارج النص، وتعدّ هذه العناصر منه بمنزلة الأسباب التي أوجدت النص.كما أنّ الإحالة المقامية (الخارجية) يرتبط وجودها بالمقام التداولي المحيط بالنص أو الملفوظ، فالعناصر الإحالية تتشكل في ثلاث وسائل (الضمائر، أسماء الإشارة، وأدوات المقارنة). والإحالة المقامية تعمل على التفاعل المتبادل بين اللغة والموقف، حيث الموقف يؤثر بقوّة على الاستعمال وطرق الإجراء[[10]](#footnote-11).

**-2- الإحالة النصية (إ.داخلية )**: تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص، وذلك من خلال تحديد العلاقات الإحالية الداخلية المتمثلة في «العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة أو لاحقة[[11]](#footnote-12)».

إنّ لسياق الحال دورا فعّالا في تفسير الإحالة وتحديد دلالاتها وضبط معانيها، بوصفها وحدات لسانية فقيرة دلاليا ومعجميا، حيث لا يستقيم لها معنى إلاّ داخل سياقاتها التركيبية، حيث تفسّر في إطار بنية النص أو في بنية السياق. فمثلا إنّ الضمائر إذا نظر إليها من «زاوية الاتساق أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب، فهي إحالة لخارج النص بشكل نمطي، ولا تصبح إحالة داخل النص[[12]](#footnote-13)».

بعض من **الأمثلة**، ففي قوله تعالى:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۢ ٥

غني عن البيان بأن الضمير "هم" في الآيات السالفة يحيل قبليا إلى جملة أصحاب الفيل، وبهذا التأويل الضميري والمتمثل في الإحالة الضميرية تتحقق العلاقة الاتساقية القائمة بين الضمير "هم" وبين "أصحاب الفيل" هي التي هيّأت النصية، فهذه العلاقة منجزة بين المحيل والمحال إليه، ومن ثم فهذه الإحالة إحالة متطابقة معنويا.

يقسم اللسانيون الإحالة النصية (الداخلية )إلى قسمين: إحالة داخلية قبلية ،وإحالة داخلية بعدية.

1. **الإحالة القبلية:**

وهي إحالة عناصر لسانية واردة في ملفوظ بوصفه علامة إحالية إلى مكوّن إشاري، سبق التلفظ به سابقا عليها، وذلك من خلال التعويض فترتبط به شكلا ودلالة، مع التوافق في الخصائص الدلالية.

يقول تعالى ﴿ إنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6)﴾سورة آل عمران.

تتمثل الإحالة القبلية في المسند إليه (الله) بوصفه العنصر المشار إليه، حيث يفسّر كل الإحالات اللاحقة عليه.

**1.الإحالة البعديـة:**إذا كانت الإحالة القبلية تقوم على التعويض بين المستويين الشكلي والدلالي عن طريق العودة إلى شيء مفسّر سبق التلفظ به، فإن الإحالة البعدية تقوم على العكس، وذلك من خلال ورود العنصر الإحالي قبل مرجعه ومفسّره الذي يعود عليه ويحيل إليه، بمعنى هي«استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة[[13]](#footnote-14)»

بعض من الأمثلة: قوله تعالى

﴿ وهُوَ( اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ) يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾سورة الأنعام الآية 03. لقد ورد العنصر الإحالي المتمثل في ضمير الشأن (هو) وذلك قبل مفسره، ولم يفسر عدم وضوحه إلاّ العنصر الإشاري : الذي نجده في قوله (الله في السموات والأرض)، ومنه فضمير الشأن (هو) إحالة داخلية بعدية لاحقة.

وانتهاءً ويرى هاليداي ورقية هازان أن وسائل الإحالة بأنواعها يمكن حصرها في ثلاثة أنماط وهي: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة.

أما النمط الأول الذي يكمن في الضمائر فينقسم إلى قسمين:

1. الضمائر الوجودية: مثل (أنا أنت ، نحن، هو، هم، هن،...)

الضمائر الملكية: مثل (كتابي، كتابك، كتابه، كتابنا،...)

أما النمط الثاني فيحصره المؤلفان في أسماء الإشارة وذلك بحسب التصنيف:

أسماء الإشارة الظرفية: وفيها الزمانية (الآن، غدا، أمس...) والمكانية (هنا، هناك...) والانتقائية (هذا، هؤلاء...) والبُعدية (ذاك، تلك...) و القريبة (هذه، هذا...)[[14]](#footnote-15).

ويعلق الباحثان على أن أسماء الإشارة تقوم على الربط القبلي والبعدي بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق من ثمّ تسهم في اتساق النص، فاسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان (الإحالة الموسعة) أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[[15]](#footnote-16).

أما يتجلى النمط الثالث في أدوات المقارنة بنوعيها العامة والمتمثلة في (التطابق والتشابه والاختلاف) والخاصة ونجدها في (الكيف والكم)[[16]](#footnote-17).

وفي إطار مظاهر الاتساق الإحالي ومدى مساهمته في بناء النص وتشكّله يذهب "هاليداي" إلى أن تحليل النصوص يختلف بين المتلقي و المحلل اللغوي اللساني، ذلك أنّ «السامع أو القارئ حين يحدد بوعي أو بدون وعي وضعية لغوية يستدعي بنيتين: داخلية وخارجية، تتمثل البنية الداخلية في اعتماد الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما، وتكمن الخارجية في مراعاة المقام، أي أنّ المتلقي يضع في اعتباره كل ما يعرفه عن المحيط.

يشير الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى أن إمكانية الفصل بين البنيتين السالفتين غير وارد بالنسبة للمتلقي[[17]](#footnote-18) على عكس المحلل اللساني الذي لا يرى ضرورة الفصل بين البنيتين باعتبار«ما يرغب في دراسته، وما يدرجه ضمن اهتمامه[[18]](#footnote-19)». وعلى أساس هذا الاختلاف فإن مسعى لسانيات النص أثناء تحليلها للعلاقات الجملية داخل منظومة النص في نمطه المكتوب أو المنطوق هو البحث عن الخصائص "النصية" بوصفها منوالا يسهم في وحدة النص الشاملة.

1. - ج.براون وج.يول، تحليل الخطاب، ترجمة:محمد لطفي الزلطيني، ومنير التريكي،ص.36. [↑](#footnote-ref-2)
2. - ينظر، ابن منظور، لسان العرب، الجزء 3، دار المعارف، ص1054-1057. [↑](#footnote-ref-3)
3. - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، طبعة 1،2001،ص.125. [↑](#footnote-ref-4)
4. - أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، طلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص.10-11. [↑](#footnote-ref-5)
5. - سعيد حسين بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، ط.1،2005،ص98. [↑](#footnote-ref-6)
6. - محمد خطابي، لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب،ص17. [↑](#footnote-ref-7)
7. -المرجع نفسه،ص.17. [↑](#footnote-ref-8)
8. - محمد خطابي، لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب،ص17. [↑](#footnote-ref-9)
9. - المرجع نفسه،ص.17. [↑](#footnote-ref-10)
10. - ينظر، روبرت دي بونجراد، النص والخطاب والإجراء،ص.339. [↑](#footnote-ref-11)
11. - الأزهر زناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا،ص.118. [↑](#footnote-ref-12)
12. - محمد خطابي، لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب،ص18. [↑](#footnote-ref-13)
13. - إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دراسة تطبيقية على السور المكية،ص.40. [↑](#footnote-ref-14)
14. - المرجع نفسه،ص19. [↑](#footnote-ref-15)
15. - م.ن.، ص.19. [↑](#footnote-ref-16)
16. -محمد خطابي، لسانيات النص،مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص.19. [↑](#footnote-ref-17)
17. -المرجع نفسه ، ص.14. [↑](#footnote-ref-18)
18. -م.ن، ص.14. [↑](#footnote-ref-19)